القيم الإنسانية في الشخصية الحسينية قراءة في بلاغة الموقف

أ.د. زينب عبد الحسين الملا أ.م.د. هدى سعيد بدر العميدي أ.م.د. حسين جليل علوان

جامعة الزهراء /كلية التربية/ قسم اللغة العربية جامعة القادسية / كلية التربية/ قسم علوم القرآن

zeinab.alsultani@alzahraa.edu.iq hussein.alzeyadi@qu.edu.iq

تاريخ الطلب: ١٨/ ١٠/ ٢٠٢٣

تاريخ القبول: ٢٤/ ١١/ ٢٠٢٣

الملخص

صيّر الامام الحسين (صلوات الله عليه) من عاشوراء درسا خالدا لكل أحرار العالم ،في كل القيم ،مما جعلها ثورة عالمية [1]على جميع الاصعدة، وصيرها قبلة للأحرار وعلما يهتدي إليه ملايين العشاق من كل صوب من اصقاع الأرض وفي كل حين ليستلهمو العبر ويحرروا أنفسهم من الظلم وأنظمة الباطل ولتعلمهم الانتصار للحرية والانعتاق من العبودية ،عبودية الهوى وعبودية الحكم الجائر فعلّم العالم أن الحياة في الحرية ،والموت في الذل والخنوع ،وهذا ما يضرب مصالح المحتل الذي دخل الثقافة الإسلامية ليعرف أسرارها ومصادر قوتها وهنا الحسين مصدر قوة وإلهام للثائرين على الظلم والاستعباد من المؤكد أنه يضرب آيدلوجيتهم ويفسد خططهم وهو في قبره صلوات الله عليه ،فما كان منهم إلا أن أرسلوا مستشرقيهم ليدرسوا تاريخنا ومن ثم يأخذوا بالتشكيك والمغالطات والاتهامات

Abstract

Imam Hussein (may God's prayers be upon him) made Ashura an immortal lesson for all the free people of the world، in all values، which made it a global revolution at all levels، and made it a destination for the free and a flag that millions of lovers from every corner of the earth and every

time guide to، to be inspired by the lessons and liberate themselves from Injustice and the systems of falsehood، and to teach them the victory of freedom and emancipation from slavery، the slavery of passion and the slavery of unjust rule، so teach the world that life is in freedom and death is in humiliation and submissiveness، and this is what strikes the interests of the occupier who entered the Islamic culture to know its secrets And the sources of its strength، and here is Al-Hussein، a source of strength and inspiration for the revolutionaries against oppression and enslavement. It is certain that he strikes their ideology and spoils their plans while he is in his grave، may God's prayers be upon him.

المقدمة

والصلاة والسلام على المبعوث برسالة السلام أبي القاسم المصطفى محمد ،وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المُنتجبين .

أما بعدُ:

إن الحسين يعد مثالا للنموذج والشخصية المتفردة الصنع ومثالية الخصال، صيّر طريق كربلاء سلما للرقي نحو العلا، وجعل (صلوات الله عليه) من عاشوراء درسا خالدا لكل أحرار العالم ،في كل القيم ،مما جعلها ثورة عالمية [2]على جميع الاصعدة، وصيرها قبلة للأحرار وعلما يهتدي إليه ملايين العشاق من كل صوب من أصقاع الأرض وفي كل حين ليستلهموا العبر، ويحرروا أنفسهم من الظلم، وأنظمة الباطل، وليتعلموا الانتصار للحرية والانعتاق من العبودية ،عبودية الهوى وعبودية الحكم الجائر فعلّم العالم أنّ الحياة في الحرية ،والموت في الذل والخنوع، وهذا ما يضرب مصالح الأعداء الذين دخلوا الثقافة الإسلامية ليعرفوا أسرارها ومصادر قوتها، وهنا كان الحسين مصدر قوةٍ وإلهامٍ للثائرين على الظلم والاستعباد لكي يضربَ آيدلوجيتهم ويفسدَ خططهم وهو في قبره صلوات الله عليه ، فما كان منهم الا أن أرسلوا مستشرقيهم ليدرسوا تاريخنا ومن ثم يأخذوا بالتشكيك والمغالطات والاتهامات .

لقد مثّل الحسين(صلوات الله عليه) كل حيثية من حيثيات الإسلام المحمدي الصحيح ؛إذ طبق تعاليمه بدقة لامتناهية، ومضى وقُتل دون تنفيذها، وتطبيقها وقد أوضح (صلوات الله عليه) قضيته

وصرّح بهدف نهضته منذ خروجه من مدينة جده حينما قال: ((من لحقَ بي منكم استشهد ، ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح[3]((، والفتح هنا مقابل الصد والغلق الذي عمله بنو أمية أمام مجرى رسالة السماء[4]، فاستشهد (صلوات الله عليه) ليفتحَ في أرواحنا نافذة النور والبصيرة لحقائق الأمور، وتمييز الحق من الباطل واتباعهما، فهجر مدينة جده وترك الطواف حول كعبة ربه، ليلفتَ أذهاننا إلى الحج الحقيقي والهجرة الفعلية، في هجر هوى النفس الأمارة بالسوء، وهجر ما تحب أنفسنا لأجل ما يحب خالقها، وليُعْلِمنا أن مناسك الله التي يستقيم حجه فيها ؛هي في التمسك بالقيم العليا ورجم الرذيلة وحلق الذنوب والسعي بين رضا الله ورضا ابن بنت رسوله (صلى الله عليه واله) وأن توجب الامر تقديم القربان بالتضحية له بالنفس[5]،لإدراك الفتح معه والالتحاق بركبه الخالد الثائر على الظالمين، وهذا ما قضَّ مضاجع الأعداء.

لذا فإنَّ هجرة الحسين (صلوات الله عليه) من مكة الى كربلاء رسالة لكل أحرار العالم ليوقظهم من نومتهم ويفيقوا من سباتهم، وليعطي رسالة لا تقبل الشك، أن الحرية في دربه(صلوات الله عليه) وفي اعتناق منهجه واتباع سيرته ،والعكس تماما في مفارقته، حيث الذل والهوان باعتناق الدين الاموي، المتخفي وراء الاسلام [6]، فما كان العالم ليستوعب هذه الحقيقة إلا بعد مقتله، فما كان عصر عاشوراء بعد انتشار خبر المأساة جاءت الصعقة الكبرى للإنسانية، التي لم تكن لتلتفت إلا بعد أن رفعت الآية الكبرى على رأس الرمح فلم يستقم الدين الا بقتله[7] وسبي عياله(صلوات الله عليهم اجمعين) فدعا السيوف لقتله لأنّه عرف أن الأمة لا تستيقظ إلا بثورة من الطراز الثقيل فجاءت كربلاء بذلك الثقل وتلك القوة، ليصبح الحسين منارا لكل من يهوى الحرية ويعشق السمو ،ونبراسا لكل مظلوم، من هنا ندرك أن الحسين استشهد ليوقظ الأمة، علينا أن ندرك أيضا أنه لم يُرد على ذلك جزاء و لا شكورا غير الالتزام بنهجه والاخذ بسيرته والعمل بخلقه (صلوات الله عليه) واستشهد لأجل نشر القيم الفاضلة في المجتمع الاسلامي، وليس لأن نترك ابناءنا يتناوشهم الغرب بفكره المنحل و، بيوتاتنا تغزوها الافكار الهادمة للأسرة، فقد خرج ليطلب الاصلاح في أمة جده(ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر)[8]، فالعامل الاجتماعي يعد الأبرز في الثورة الحسينية[9]، من هنا يتوجب على كل من يدعي الانتماء للحسين واعتناق النهج الحسيني أن يلبي نداء الحسين

(صلوات الله عليه) في عاشوراء (هل من ناصر)[10] ويلحق بركب الحسين الخالد وينظم لأنصاره، فنصرة الحسين بحمل صفات الشخصية الحسينية المختصرة لشخصية جده وأبيه صلوات الله عليهما، بما تحمل لفظة (الشخصية)من معانٍ ومفردات ،تختصر الجانب الفكري والسلوكي للفرد[11].

فكان شعار الحسين قرآنيَّ المهد، محمديَّ الوجود ،علويَّ الامتداد ،عالميَّ الأهداف ما كان يصبو (صلوات الله عليه) لغير إصلاح أمة جده، واستنهاض البشرية للذود عن حرمها ،فليس من الايمان ،أن ينأ المؤمن عن مسؤوليته في إصلاح مجتمعه و إصلاح لنفسه فذلك مناقض للشخصية الحسينية، التي ضحت في إصلاح الأمة والأمر بالمعروف ونهيها عن المنكر، فمن ائتمر منهم بالمعروف وانتهى عن المنكر إلا من طهر نفسه من كل ما لا يرضاه قانون الحسين ،في الجانب الآخر ما كانت واعية الحسين لتؤثر في نفوس المعسكر الأموي لأنهم أغرقوا أنفسهم في لجج الدنيا وصعب عليهم إخراجها ودونوها من معسكر الحسين ،إذ قلوبهم قد طبع عليها من كثرة ابتعادهم عن خلق الحسين ،فأضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات فقل ديانهم وصار الدين لعقاً على السنتهم[12] كما صرح بذلك الامام عند نزوله كربلاء ،حين التقى الفرزدق وسأله عن أحوال أهل العراق ((الناس عبيد الدنيا والدين لعق على السنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم ،فاذا محصوا بالبلاء قل الديانون)[13]وفعلا كانت نماذج في المعسكر الاموي لشخصيات إلاهها دينارها ،ودينها شهوتها ،فكثير من الجند و القادة هناك من رضي بقتل سيد شباب أهل الجنة ليربح صرة دراهم، أو يفوز بكتاب ملك الري، أو بوسام قائد الجيش.

ومن هنا جاء هذا البحث ليسلط الضوء على الشخصية الإنسانية التي تشكلت في ملحمة عاشوراء لمتابعة صفات كل نوع من أنواع هذه الشخصيات من خلال عرض لنماذج من المعسكرين ونأخذ صورا لشخصياتهم ومواقفها وقراراتها التي خلدها التاريخ وهي بدورها خلدت قائلها وجلبت له الشرف الخالد أو العار والشنار المؤبد.

أولا: لنأخذ العظة والعبرة من التعرض لهذه الصور ولتجنب القرارات التي اتخذها المعسكر الخاسر والقاتل لابن بنت رسول الله (صلى الله عليه واله)؛إذ كان أهل الكوفة على وشك نصرة

الحسين ،فكاتبوه ودعوه للمجيء للعراق ليبايعوه لكنهم حين اتاهم انقلبوا وتكالبوا عليه وخذلوه [14] وأنكروا كتبهم اليه

فالجيش والمعسكر الذي أعده ابن زياد لقتال الحسين(صلوات الله عليه) كان منقسما لخمس فئات ،وكل فئة تمثل شخصية من شخصيات المعسكر الأموي ؛فهناك الشخصية المتخاذلة والتي كاتبت الحسين(صلوات الله عليه) ثم خذلته[15]،وهناك الشخصية التي خضعت للإعلام الأموي المضلل الذي هوّل عدد الجيش ،فما كان من هذه الفئة الا الانكفاء ولزوم الديار تحت تأثير عويل النساء وبكائهن وصرخاتهن التي حركت فيهم التردد ومن ثم التقهقر والنكوص عن نصرة الحسين فهي شخصية خاضعة وخائفة ، فيما كانت الشخصية الثالثة هي؛ الشخصية الطامعة الجشعة التي لم تتخاذل عن النصرة بل واسهمت في الواقعة بدافع الطمع وجشع النفس، أما الشخصية الرابعة، فكانت الشخصية المترددة بين الخوف من العار بقتل الحسين وبين مايفوتها من الملك كما في قائد الجيش عمر بن سعد حين خيره ابن زياد بين قتل الحسين وملك الري[16] فاختار ملك الري ،ومضى بقتل الحسين (صلوات الله عليه)، فما كان التردد ليأتي بالقرار الشجاع، فيما كانت هناك شخصية أخرى لم يقل عارها عن سابقتها وهي الشخصية الحاقدة التي دخلت المعركة بغضا لعلي بن أبي طالب وكرهاً له لثار قديم معه.[17]

نلحظ في الشخصيات التي تقدمت في ريادة المعسكر الاموي وتجييش الجند لقتال ابن النبوة وربيب القرآن ،هي شخصيات لم تنزل عن كونها تحمل الصفات البعيدة عن الاسلام ولا تمتد اليه بصلة فالخوف والتخاذل والتردد والطمع والبغض خصال ذمها النبي الاعظم (صلى الله عليه واله)وكرّهها القران ،ولو تعمقنا بالنظر الى هذه الصفات لوجدناها تنصب في منبع واحد هو العبودية ؛العبودية للهوى كما في الشخصية الحاقدة والمبغضة، والعبودية للمال كما في الشخصية الطامعة ،والعبودية للدنيا وملكها كما في الشخصية المترددة ،والعبودية للأهل والبنين كما في الشخصية الخائفة والعبودية للمال والهوى كما في الشخصية المتخاذلة، وكلهن يجتمعن في عبودية الدنيا .

والعبودية هي العدو الأكبر الذي حذر منه الامام الحسين (صلوات الله عليه)وما دفع بكل فرد من أفراد المعسكرين الحسيني والأموي هو العبودية ،فمعسكر الحسين فهِم رسالة الحسين وأدرك

حقيقتها بالتخلص من عبودية الدنيا والتحرر من الهوى والخضوع بالعبودية لله وحده ،فيما كان الطرف الآخر في المعسكر الأموي لم يكن ليدرك هذه الحقيقة وعُمي على قلوبهم فضاعوا في اتّباعهم لأهوائهم وصيرتهم عبوديتهم لدنياهم وأهوائهم أن يقعدوا عن نصرة الحسين وكفاهم بذلك خسارا((بل اتبع الذين ظلموا أهوائهم بغير علم فمن يهدي من أظل الله ومالهم من ناصرين))[18]

ثانيا: لكن حين ننتقل الى الجانب الاخر حيث المعسكر الحسيني ،نجد في كل شخص من معسكر الحسين (صلوات الله عليه)يمثل قيمة بحد ذاته، ومثالا في الخلق السامي، مما شكل أنموذجا للشخصية الاسلامية الأصيلة ،قد تجسد فيها خلق الامام و القائد ،فترفعت عن كل ما يُدنسها من أهواء الدنيا وعبوديتها، فأسهم كل فرد من أبطالها في صنع خلوده بنفسه وتسجيل أروع صورة له، ففي يوم عاشوراء كانت كل صفات الحسين وصفات أنصاره وأتباعه متجلية بأبهى صورها، فقد كان الحسين عبارة عن كتلة من القيم ، ولوحة من السمات المثلى والعلائم الفضلى، فقدم واقعة كربلاء للعالم بأسره أفضل تقديم ؛ لتكون منظومة من القيم ،و دستورا خالدا لكل أمة ظُلمت وتبحث عن غلبتها وتهفو لنصرها، وقد أسهم كل بطل من ابطال كربلاء بصنع هذه القيم وشارك في نقل هذه الصورة العظيمة ورسم الخط الحسيني ،إذ عكس كل فرد من افراد معسكر الحسين صلوات الله عليه قيمة وصفة من صفات الحسين (صلوات الله عليه)، لينتجوا لنا ملحمة في الاباء والتفاني والفداء والاخلاص والوفاء وكل مايشدّ المجتمع الانساني ويقويه ويقوم بنيانه.

هذا النسيج العاشورائي المهيب لم يكن من لون واحد ولاحكرا على طائفة أو هوية دون غيرها ولا عرقاً دون أخر ولا رجلا دون امرأة ولا شيخاً دون شاب ،ولا طفلاً دون بالغ، ولا قريباً قبل بعيد ولا أبيضاً دون أسود ، بل كان أحد المعسكرات الاكثر تنوعا واختلاطا وامتزاجا بين أفراده على وجه الأرض على امتداد التاريخ، فنجد حبيب بن مظاهر الشيخ الكبير بجانب شباب أبي الفضل والقاسم بجانب عبدالله الرضيع وزينب بجانب أم وهب و علي الاكبر وجون العبد وعابس المولى ،هذه التشكيلة ،تعد نادرة الوجود بالنظر للظروف التي عايشتها في اخر لحظات حياتها بالنظر الى ما تركوه من أثر عظيم بعد انتهاء معركة الطف، إذ كان لكل فرد فضيلة يعرف فيها وان ذكرت ذكر معها وخلدت معه.

من هنا سنعرض للقيم التي ميزت أهم شخصيات المعسكر الحسيني ،لنقارنها بقيم المعسكر الآخر الذي واجه هذه القيم بقيم الجشع والطمع ، والخوف والتردد والنكوص والخذلان، والعبودية والهوان ،ومن أهم القيم الحسينية التي تجسدت في كربلاء ؛ ذكر الله فقد تناقلت في اخبار كربلاء وليلة عاشوراء أن الحسين (صلوات الله عليه)وأصحابه كانوا منشغلين في قراءة القرآن والدعاء وكان لهم دوي مثل (دوي النحل)في حين كان المعسكر الاخر يغط في السكر والحرام [19]،وهذا أبسط مثال على الزيف والزور الذي ينكره بنو اميه ويدعون أنهم ولاة المسلمين وأرباب امورهم ،وهو ما تجسد أكثر في ضحى يوم العاشر من محرم حين ذكر ابو ثمامة الصائدي [20]الصلاة فترحم عليه الامام الحسين لأنّه ذكر الصلاة[21] وهي إشارة على أهمية الصلاة في حياتنا، وفي صقل الشخصية الحسينية وصنع ذاتيها المتفردة لها.

ولم يكُ ذكر الحسين لربه منحصرا في وقت دون آخر بل حتى ذروة الحرب ومع فقد الولد والأحبة شهيدا تلو شهيد ،نجد الإمام(صلوات الله عليه)، يحتسب ويدعو ويهمهم مع ربه واروع صورة تُنقل حين تكالب عليه الاعداء فقتلوا حامل لوائه فبان الانكسار [22]على وجهه(صلوات الله عليه)،لكنه لم يقل عزمه ولم يضعف، فأعطى الانسانية درسا في الايمان بالله والثقة به، وخير مثال في دعائه العاشورائي المكلل بالثقة والمملوء بالايمان بالله والرضا بقضائه : ((اللهم انت ثقتي في كل كرب ،ورجائي في كل شدة ،وانت لي في كل امر نزل بي ثقة وعدة ،كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو أنزلته بك وشكوته اليك رغبة مني اليك عمن سواك ،فكشفته وفرجته ،فأنت ولي كل نعمة ومنتهى كل رغبة))[23]نلحظ حالة الامتنان والشكر لله والثناء عليه ،فقد انقطع نظيرها على مر التاريخ ،فهذا التسليم والتفاني في حب الله ،يفسر الفداء والتضحية التي قدمها الحسين (صلوات الله عليه) لله تعالى لإعلاء كلمته واحياء دينه، ولم يأتِ هذا التفاني، الا من قلب مليء بحب الله ومشبع بذكره ،ومن كان قلبه عامرا بحب ربه، ليس غريبا أن يبذل له كل عزيز، ويديم شكره ، و يكثر حمده، ويثني عليه وهو درس آخر ،يغني المجتمع لو أفاد منه ونقله الى اوساطه ،فالحسين أعطى درسا للإنسانية في قوة الامل بالله ،فمهما ساءت الامور لابد أن نتمسك بحبل الأمل ونتوقع الفرج وانجلاء الهم والحزن و لا ننسى قرب الله ودنو فرجه.

من الصفات الالهية التي جسدتها شخصية الحسين (صلوات الله عليه)، القاء الحجة على اعدائه، وكرهه البدء بقتال ،فخطبته صبيحة يوم العاشر لم تبق لابن حرة عذرا في التخلف عن نصرته (صلوات الله عليه) حين ساءَلهم، اتعرفون ابن بنت نبي غيري((ايها اناس انسبوني من أنا ،ثم ارجعوا الى انفسكم وعاتبوها وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ،الست ابن بنت نبيكم ، وابن وصيه ،وابن عمه واول المؤمنين بالله...أو ليس حمزة سيد الشهداء عمي ؟أوليس جعفر الطيار عمي ؟أو لم يبلغكم قول رسول الله صلى الله عليه واله لي ولأخي هذان سيدا شباب اهل الجنة) ؟ فإن صدقتموني ما أقول وهو الحق ،و والله ما تعمدت الكذب مذ علمت ان الله يمقت عليه اهله))[24] الى اخر الخطبة المعبئة بالنفس القرآني والخصال المحمدية الحقة ،مما تصنع شخصية حسينية مثالية ،فالاعتداد بالذات في الحق والقاء الحجة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ،وتنبيه الآخر، صفات جسدها الحسين في حياته قبل أن يحاجج القوم، ليكون في كلامه ثورة على الظلم ، وظلم النفس في طليعة التحديات للثورة الحسينية ،فلابد من مواجهة الذات والانقلاب عليها ، لنقوّم انفسنا ونصنع شخصيتنا المثالية ،الممتزجة بالشخصية الحسينية والمتماهية معها بالفكر والسلوك.

صنع شخصية مثالية يتطلب قوة وعزيمة وإصرار على النصر، وقد كان الحسين(صوات الله عليه) متميزا في صنع النصر وإدارة المعركة لصالح أهدافه الحقه، فمما وهبه الحسين للعالم ،وأعطاه لمحبيه بوجه الخصوص؛ إذ لم تتجلَّ هذه الصفة الحسينية في خطبه فقط، أو في مواعظه (صلوات الله عليه)، للقوم من المعسكر الاخر ،وأيضا بانت في مواقفه حين يودع أصحابه وأبناء عمومته وحين يحتسبهم عند ربهم ،وأعظم موقف تجلت فيه قوة الحسين ما يرويه قتلة الحسين أنفسهم إذ يرون أنهم لم يروا مجروحا قط قد قتل ولده وأخوته وصحبه أربط جأشا منه [25]،وطبيعي جدا من شخص أوكل أمره لله ،وجعل كل ثقته ،ورجاءه به أن يكون بهذه القوة ،وبتلك الهيبة التي أرعبت قلوب أعدائه.

وقد تجسدت قوة الحسين(صلوات الله عليه) ورباطة جأشه في جانب آخر هو اظهار الود لمن حوله ،فرغم المعركة واضطراب أسنتها ،واصطلام نيرانها، فقد كان (صلوات الله عليه) يزود اصحابه وبني عمومته بالحب والود وينشر الخير بينهم ،فكل من يتقدم الى الحرب يأخذه الحسين الى صدره

ويضمه ويشمه ويقبل جبينه ،وحين يستشهد يهرع اليه راجلا او راكبا فرسه لينزل عنده بعد أن يثأر له من قاتله، فينزل عند كل شهيد ويودعه الوداع الأخير ويحتسبه عند الله ويستودعه الله وقد يحمله رسالة الى جده يبلغه فيها السلام ويخبره بالحال[26]،صورة التفاني هذه التي قدمها أخلص جند وأقوى قائد في كربلاء ، لم تقع قبل الحسين ولا بعده ،فقد كانت حالة التفاني بحب الآخر وتقديمه على النفس ، وتذكر الله في كل مكان ومناجاته بكل الأحوال ،وتعبئة الأجواء بالإيمان منقطعة النظير ،فقدم الحسين جندا زودهم بالحب و ملأهم بالإيمان ،غير مميز لقريب عن بعيد ،ولا حر عن عبد ،بل ودعهم جميعا بنفس الوداع فقد ضم عابس وجون ،كما ضم القاسم وعلي الأكبر[27] فلذة كبده ،مساويا للجميع ،لم يفرق بين أحد منهم رضوان الله عليهم أجمعين ،فتجسدت قيمة المساوة في معسكر الحسين بأبهى صورها

إظهار الود ونشر الحب بين أفراد معسكر الحسين (صلوات الله عليه) تجلى في وجه آخر هو المواساة ؛فحين الرجوع من تأبين أصحابه أواهل بيته، فمما يُنقل ؛أن الحسين يُظهر حزنه ويرخي دموعه حين يفقد أحد أفراد معسكره ومن المواقف التي تتناقلها المقاتل عن الحسين (صلوات الله عليه) يوم عاشوراء بعد رجوعه من مصرع أخيه أبي الفضل العباس ،وحامل لوائه (عليه السلام)،أنه قام من مصرعه منحني الظهر واضعا يده على ظهره متكئا على سيفه ،بل وتنقل الأخبار أنه جلس مقابلا لزينب عليها السلام نادبا لابن ابيهما ، ومواسيا ومصبرا لها وتارة باكيا لبكائها وينقل بعضهم أنه حين سمع أخته العقيلة تندب أخاها أبي الفضل وتنعاه بكلمة(واضيعتنا بعدك)،شاطرها بالقول ورد عليها(نعم أي والله واضيعتنا بعدك)[28].

فليس معهودا بالثقافة العربية الذكورية بكاء الرجل بل دوما يكون قاسيا في هذه المواضع ويكظم حزنه ،لكن الحسين أظهره وواسى أخته بفقيدها وحامي خدرها ،فمواساة الاخت والزوجة والاهل ،والبكاء على فقيدها من مكامن القوة ومن صور اظهار الحب لمن حوله ،هكذا كان ينشر الحسين الحب على من حوله يوم عاشوراء وهو مما أثر الأثر الأكبر في ترسيخ هذا المفهوم ،الذي لم تسلط عليه الاضواء ربما للاعتقاد انه يعكس صورة الضعف عند المعسكر الحسيني لذا تتجنب الدراسات الخوض في هكذا مواضيع والحقيقة على العكس ، ومما يؤيد هذا موقف آخر للإمام

الحسين (صلوات الله عليه) تجلت فيه الرحمة والرأف الحسينية ؛ حين أمر أصحابه بأن يرجع الغلام عمرو بن جنادة الانصاري الى فسطاط أمه رأفة بها لان ابوه استشهد في الحملة الاولى [29]،هذه الرأفة عند القائد على جنده وافراد معسكره قيمه مثلى وقد أعدمها المعسكر الأموي وعدمت في صفوفه.

لم تكن الرأفة الحسينية للإنسان فحسب بل شملت الحيوان،فقد نقل المؤرخون عن الحسين (صلوات الله عليه)حين وصل شاطئ الفرات يوم عاشوراء وقبل ان يشرب الماء عرضه على فرسه فأبت كأنها فهمته ؛وليس هذا فحسب بل سقى خيول اعدائه حين وصل الى ارض كربلاء فسقى المعسكر الأموي وأمر أصحابه أن يسقوا خيول القوم ويرشفوها(ترشيفا)[30] ،لكن ما كان جزاؤه عندهم الا أن كان عبدالله [31]ابن حوزة التميمي يشرب الماء وحين يستسقيهم الحسين يجيبه أنه لن يشرب حتى يرد (الحامية)[32]، فمنعوا الحسين من شرب الماء و تيبست شفتاه وتفتت قلبه من شدة العطش ،وذبحوه (صوات الله عليه)ولم يشرب من ماء الفرات ،هكذا قابل القوم الجود والكرم الحسيني ،بالمنع والبخل والقتل.

ومن مصاديق الرأفة الحسينية العطف على الأعداء حتى بعد قتلهم لصحبه وخيرة أهله ،إذ ينقل في أخر لحظات الامام الحسين صلوات الله عليه شاهدته اخته العقيلة يبكي ويمسح دموعه بكمه فسألته عن بكائه ،فأجابها؛ أبكي لهؤلاء القوم يدخلون النار بسببي[33]،وهنا لابد أن نقف إعظاما لهذا القلب الذي حوى بين جنباته هذا الحب العظيم الذي يضاهي حب الأم لوليدها، وهذا هو نموذج الإمام الثائر الذي حملت ثورته من قيم الحب والسلام اكثر من قيم الحرب والسياسة

وقد شارك أصحاب الحسين (صلوات الله عليه) وأهل بيته في تقديم الشخصية الحسينية ،ونجحوا في مهمتهم بتقديم المثال الأروع للنهج الحسيني ولتلك الشخصية ،فقد مثّل كل فرد من أفراد المعسكر خلقا ساميا وخصلة فاضلة تسهم في صنع الشخصية الحسينية وليكون لبطلها معلما كربلائيا خاصا به ووساما يخلد بعكسه صورة الاسلام المحمدي الصحيح ،وسلوك الشخصية الحسينية المثالية ، فمن القيم التي أخذ أصحاب الحسين على عاتقهم تقديمها للعالم قيمة التوحيد؛ والتي مثلها وهب النصراني[34]،فقد جسدت هذه الشخصية الحسينية معالم التوحيد حين اختار وهب

الوقوف بين يدي الحسين والاسلام على يديه فنطق الشهادتين ودخل الاسلام ونصر الحسين واستشهد دونه [35]حين علم نسب الحسين وأنه ابن بنت رسول الاسلام وبذلك أبطل فرية الأموين الذين يدّعون أنهم موحدون ويعبدون أهوائهم، وأنهم مسلمون ويقتلون إمامهم .

الصفة المثالية الاخرى التي تولى تقديمها صحب الحسين رضوان الله تعالى عليهم هي التفاني في حبه (صلوات الله عليه) فقصص العشق من كربلاء تجاوزت حد العقل، ففي قصة جون وعابس، والشيخ الكبير حبيب بن مظاهر، و وهب النصراني، نجدهم كلهم قد هاموا بالحسين حبا وذابوا فيه عشقا، وكانوا يتمنون الموت بين يديه، وكانت سعادتهم حين تحققت أمنيتهم، فكان الواحد يوصي الآخر بالموت دون الحسين (صلوات الله عليه) ويستودعه عيالات الحسين[36].

قيمة مثلى في معسكر الحسين (صلوات الله عليه) انقطع نظيرها في أي معسكر من معسكرات العالم ؛هي قيمة الوفاء وقد تجسدت في كل ابطال كربلاء ممن قدموا أنفسهم قربانا للدين ولنصرة امامهم ،ولكن هناك شخص التصقت فيه هذه الصفة عرف بها دون سواه فصار الوفاء يفتخر أن ينسب إليه ،هو العباس بن علي (رضوان الله عليه) فقد ضرب المثال الاروع في وفاءه ونصرته لإمامه وقد اوجز بطولته حين برز للاعداء وبعد أن قطعوا يمنه وحين نقل السيف الى شماله خاطبهم مرتجزا:

((والله ان قطعتم يميني أني احامي أبدا عن ديني

وعن إمام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين))[37]

فقد صرح عليه السلام بأنه يقاتل لينصر إمام زمانه وليفدي دينه ،وليس بدافع الدم والعرق ،وكما هو معروف من أخبار المقاتل أن أبا الفضل وصل النهر ورفع الماء ثم رماه وملأ قربته ليروي عطش الإمام وبنات النبوة، فكان حقيقا لأمه أن تتباهى بقمرها الذي سجلت لها بكفيه، بصمة في كربلاء اذ عكس العباس(عليه السلام) صورة التربية الصالحة التي أرضعتها له أمه (عليها السلام) فقد ربّت أبناءها على نصرة الدين ورعاته والذود عنهم والموت دونهم.

وهي قيمة أخرى تقدم في كربلاء عن طريق المرأة الأم كما في شخصية (رملة وأم وهب) والمرأة الزوجة كما في شخصية (زوجة وهب النصراني وزوجات الأنصار والرباب) ،والمرأة البنت كما في شخصية (رقية بنت الحسين) ،وكما في الشخصية القدوة والأسوة العظمى ،مثال الأم والأخت والراعية (زينب الكبرى) التي قدمت قيمة الصبر بصورة ناصعة وبهية ولتلهم نساء العالم الدروس في الصبر، والستر، وحفظ الأمانة، والمحافظة على الصلوات، فزينب صبرت ومن أروع أمثلة صبرها أنها تقدمت للمعركة وبعد أن انجلت غبرتها باحثة عن جسد أخيها فاقتربت منه وحملت ما تبقى منه ونادت السماء وربها ((اللهم تقبل منا هذا القربان))[38] وقدمت قيمة أخرى من قيم كربلاء بعد الصبر قيمة حفظ الحجاب والستر فكانت زينب العقيلة (صلوات الله عليها)، أفضل من مثلت شخصية المرأة الملتزمة بنهج إمامها الحسين، ونجحت في توليها تقديم مثال المرأة المجاهدة والصبورة، والمحافظة على الصلوات لوقتها؛ نافلتها وفريضتها[39].

وهناك صورة اخرى لهذه المرأة العظيمة التي لم ينحصر دورها في تقديم قربان ال محمد وتمثيل المرأة المخدرة بل تجاوزت ذلك لتقدم و بكل اجلال واعظام ، الصورة المشرقة للأخت المحبة لأخيها والمدَللة .

الخاتمة

١- نجح الحسين بتميز وإبداع كبيرين في تقديم ثورته بأبهى حلتها وبأعظم صورها ،واستطاع بامتياز أن يرسم نهج الحرية ويحدد بوصلتها مما أكسب كربلاء وعاشوراء صفة الثورة الخالدة والتي تشكل خطرا على أي حكم ظالم في أطراف الأرض وأقاصيها ،ومن المؤكد دول متجبرة مثل الدول الغربية التي حاولت أن تستعمر بلاد المسلمين أن تشكك في مصدر قوتهم أو تحاول اضعافه ومهاجمته ،من هنا بات واضحا ان قلم بروكلمان سياسي وايدلوجيته الاستعمارية اتضحت .

٢- أظهرت لنا ثورة الحسين أنواعا عديدة من الشخصيات، فكانت الشخصية المتكاملة والواعية، المدركة لتكليفها، والشخصية المؤمنة بقدرها ، والسائرة في طريق الحق ونصرته، وهذه صفات أصحاب الحسين عليهم السلام.

٣- النوع الآخر من الشخصيات هي الشخصيات الذليلة الخانعة التي تفضل الدنيا على الدين، فتلتحق في ركب الأذلاء الذين قتلوا ابن بنت الرسول صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الهوامش

[1] ينظر كربلاء من تراجيديا الصورة الى فلسفة الحركة ,راجي انور هيفا ,الشخصية الحسينية؛ زينب صاحب ,شبكة النبأ المعلوماتية

[2] ينظر كربلاء من تراجيديا الصورة الى فلسفة الحركة ,راجي انور هيفا ,الشخصية الحسينية؛ زينب صاحب ,شبكة النبأ المعلوماتية

[3] اللهوف في قتلى لطفوف ؛٢٨

[4] ينظر في ظلال الطف ؛١٧٩. ١٨٠

[5] ينظرالمجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة ,عبد الحسين شرف الين؛٦٧

[6] ينظر الفتح الحسيني ,جميل الربيعي ,منتدى الكفيل

[7] ينظر كرامات الشهداء ,محمد الشيرازي ٩٨وينظر معالم المدرستين مرتضى العسكري,ج٣؛٧٧

[8] ينظر الارشاد الشيخ محمد المفيد ,٣٥ وينظر البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي ؛؛١٥١/٨

[9] ينظر بواعث الثورة عند الامام الحسين عليه السلام, موقع الشيرازي

[10] ينظر في ظلال الطف:٨١

[11] ينظر بناء الشخصية الحسينية؛زينب صاحب ,شبكة النبأ المعلوماتية

[12] ينظر(ان الناس عبيد الدنيا والدين لعق على السنتهم)محمود الموسوي مجلة الهدى

[13] بحار الأنوار ,العلامة المجلسي ؛٤٤,١٨٣,كشف الغمة ,ابي الحسن الاربلي؛ج٢:٢٠٧ وينظر تحف العقول ؛ وينظر ٢٤٥

[14] ينظر؛انساب الاشراف ,البلاذري ؛١٨٠/٣

[15] ينظر مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة ,مجموعة مؤلفين ٥٥/١

[16] ينظر شخصية عمر بن سعد من حين الثورة الى زمن مقتله؛ وسام البلداوي ,مكتبة العتبة الحسينية الالكترونية

[17] ينظر ينابيع المودة ,للقندوزي ؛٨٠/٣

[18] الروم ٢٩*

[19] ينظر الامام الحسين وأصحابه ,القزويني ٢٥٨/١ ,وينظر معالي السبطين,لمحمد مهدي الحائري ٣٤٧

[20] أحد شهداء كربلاء ,من فرسان العرب ووجوه الشيعة ويلقب بشهيد الصلاة,ينظر الكنى والالقاب ؛عباس القمي :٣٤/١ وينظر المناقب لابن شهر اشوب ؛٢٥٣/٣

[21] ينظر مقتل الامام الحسين ابو مخنف .١٤٢

[22] ينظر تاريخ الطبري ٣٣١/٤وينظر الكامل في التاريخ ٢,للجزري/٥٦٥والبداية والنهاية ,لابن كثير الدمشقي ١٩٧/٨

[23] ينظر المقتل لابي مخنف ١٤٤

[24] اللهوف في قتلى الطفوف :٩

[25] ينظر م.ن١٠٩

[26] ينظر م.ن٨٨

[27] ينظر علي الاكبر فتى كربلاء ,شبكة الامام ا لرضا العالمية وينظر اخلاق الحرب في سيرة الامام الحسين ,عدي السهلاني ,مجلة الاصلاح الحسيني ع١١

[28] ينظر بحار الانوار ٢٤٧/٢٢

[29] ينظر اللهوف ؛١١

[30] ينظر الارشاد الشيخ المفيد؛٧٨/٢

[31] عبد الله بن حوزه(خوزه)التميمي أحد عبيد بني امية والمشاركين في قتل الامام الحين صلوات الله عليه

[32] ينظر البحار ٤٥/١٢

[33] ينظر اللهوف :١٢٠

[34] هو وهب بن حباب الكلبي كان نصرانيا فاسلم في كربلاء ينظر رجال حول الحين ,وهب النصراني انموذجا احمد السيد

[35] ينظر ؛م:ن

[36] ينظر المقتل /٧٨,٥٦

[37] ينظر المقتل ٩١وينظر سيرة قمر بني هاشم العباس بن امير المؤمنين عليه السلام,ليث الصبيحاوي,منتدى الكفيل

[38] اللهوف ,١١٩

[39] ينظر زينب الكبرى من المهد الى اللحد,القزويني ،١٣